وجمال، وسلاسة، وبساطة، ووضوح، فان الاجمل والاكثر اثارة لنا ذلك الاهداء الجميل الذي قدّمه الشاعر، بروحه المشبعة بالتفاؤل، لأكثر من عقدين، حين كتب «الى الذين سيغسلون، بدمائهم، عار الابد ولعنة الاجيال؛ الى محرّري فلسطين في المستقبل»؛ وكأن الشاعر يهدي هذه المقدّمة الى اطفال الانتفاضة بدون موعد محدّد مع الزمن، بقدر ما هو ايمان تلقائي بالحتمية.

للأغنية البحرانية مداراتها

ما زالت ذاكرتنا طريّة، نحن الجيل الذي رافق، منذ طفولته، الاغنيات التي خلقت مع نكبة فلسطين، والتي، بين الفينة والفينة، وبالذات في فترة ازدهار الناصرية، كنّا نسمعها في الاعراس والمناسبات، خصوصاً من الفرق الشعبية المحرّقية التي كانت تهزج احياناً بعبارة «الله ينصر فلسطين»، كجزء من مقاطع أغنية طويلة، أو لازمة من لوازمها الفنية؛ مثلما ظلت المخيّلة، لأكثر من عقود، في منطقة الحورة، تتذكر أغنية شعبية مقاطعها تقول:

خربوا في البحرين يوم الربوع ربشه على خزاين «بني» وسبايبك يا فلسطين[٢٢]

وهذا المطلع جزء من أغنية وطنية تشيد بالعرب، وبأمجادهم. وقد تفجّرت هذه الاغنية نتيجة تقسيم فلسطين واقامة الكيان الاسرائيلي في العام ١٩٤٨، ممّا أثار غضب أهالي البحرين حيال اليهود المقيمين فيها، فأحرق البحرانيون بيوتهم، ونهبوها، ممّا دفع جزءاً منهم الى الهرب من البحرين (هناك آراء مفادها ان هذه الحرائق تمّت بدوافع مدروسة من اجل دفع اليهود الى الهجرة الى فلسطين؛ وهناك اصابع عديدة متّهمة في هذه العملية). وهي الفترة عينها التي شهدت البلاد خلالها التظاهرات التي رفع فيها علم فلسطين وانفجار الاحتجاجات، والاضطرابات العمّالية، والتحرّكات الشعبية ضد الوجود الاستعماري، ودوره المساند لقرارات التقسيم والاستيطان الصهيوني. فقد «تفجّرت المشاعر الوطنية لدى الشعب البحراني، وخرج بتظاهرات عارمة، مستنكراً قرارات التقسيم، ومحتجاً على عجز الحكام العرب عن حماية الارض المقدسة»[٢٣].

وها هي الاغنية الحديثة تواصل مسيرتها الغنائية للقضية الفلسطينية، بقوالب وصيغ فنية جديدة، محاولة التأثير الروحي والعاطفي والسياسي الواسع في مستمعي الاغنية، بهدف نقل الذاكرة العربية الى حساسية وشعور نغمي مختلف لم تعتاده، وتشنيف اذن المستمع على نمط غنائي يتجاوز لغة التطريب والغوص والتأمل والانفعال الداخلي. فقد انتهجت فرقة «اجراس» البحرانية اسلوباً غنائياً فنياً متميّزاً، اعتمد، في غالبيته، على الشعر الفلسطيني والكلمة الجادّة، في أكثر من ثلاثة أشرطة، وبتوظيف قصائد لشعراء معروفين، أمثال محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وراشد حسين وسهام عيطور شاهين وغيرهم. وعلى الرغم من حداثة عمر الفرقة، الّا انها رسّخت جذورها محلياً وخليجياً، وتتعزّز مكانتها تدريجياً في الوسط العربي، مؤكدة ان رسالة الاغنية هدف انساني وثقافي وجمالي نبيل، ولن يتمّ تحقيقه وسط الاسفاف الثقافي، الّا بالصبر والمثابرة، بحثاً عن النوعي، واعتماداً على المعرفة والعلم والذوق والحسّ السليم.

القضية الفلسطينية في القصّة

احتلت قضايا مصيرية للانسان والمجتمع مكانة خاصة في القصص البحرانية، وكان من ضمنها القضية المصيرية العربية الكبرى ـ القضية الفلسطينية، التي تباينت في حيّزها، من حيث السياق القصصي وابداعه النثري بين قاص وآخر، حسب تجربته الذاتية وتفاعله مع القضايا القومية.